بهِ الصين وحدها والباقي يوزَّع في جهات اوربا واميركا

حديقة السوسن

بقلم حضرة صاحب السعادة سليم بك عنحوري

(تابع لما في الجزء التاسع)

والحاصل ان اسلافنا على ما نرى خبطوا في المسألة خبط عشوآء ولم يصيبوا منها حتى اليوم هدايةً ولا رشداً . وكما انهم اختلفوا في حقيقة المرأة وماهيتها ومنزلتها اختلفوا ايضاً في وجوب تعليمها وعدمهِ — ففريقٌ منهم — حظَر التعليم عليها حَظْراً باتّاً حتى القرآءة والكتابة زعماً انهُ مدعاة لاسترسالها في الغرور وانهماكها في المفاسد والشرور[1] . — وفريقٌ — قال بوجوب

(١) ومن افسد الآرآء وابعدها عن الصواب قول بعض معارضي التعليم « ان الانثى اذا تعلمت زال عنها رونق الانوثة وفقدت مزية الحب فانها لا تفتن اللب وتجذب العواطف الا لكونها لا تجادل ولا تحتجّ (والحال ان الجاهلة اكثر جدالاً واطول حجةً واشد عناداً) ولانها شحرورٌ يغرّد وطفلٌ يعبث وقلبٌ يحبُّ فكيف يحصل لها الحب اذا لهت عنهُ بشواغل العلم » وقد فات هؤلآء ان كل قوّات الارض وشواغل الكون ومتاعب الحياة وسلطات الممالك لا تقوى على الوقوف في سبيل الحبّ الذي تبعثهُ الاميال الجنسية الكافلة لعالم العمران بنمآء النوع ودوام البقآء . بل العلم يزيد القلب ارتياحاً للصبابة وحنيناً الى الغرام ويجعل وجهتهما المحاسن المعنوية وقبلتهما الجمال الادبي فتصحّ مبادئ الحب وترسخ دعائمهُ وتهنأ مظاهرهُ ويورث ذويهِ المجد والفخر والعلآء يجتنونها في خلال الانس والمسرة والصفآء بعكس الحبّ المادّي المقترن بالجهل فانهُ واهي الاساس قصير العمر وخيم المرتع جالبٌ للذلّ والشقآء . وفضلاً عما ذكر فان وظيفة المرأة لم تكن

الاقتصار على تعليمها قواعد الدين وتدبير المنزل وشيئاً من صناعات اليد ليس الا . — وآخرون — اوجبوا لها الاطلاق في التعليم اسوةً بالرجال وهذا هو اليوم مذهب الغربيين عامّةً وعدد يسير من الشرقيين

ألا ترى ان أمة عظيمة لا يقل عديدها عن مئة وثمانين مليوناً منتشرة في اطراف العالم الشرقي طولاً وعرضاً ما برحت مصرّة على عدم اطلاق تعليم المرأة ووجوب حجرها في ظلمات البيوت محجوبة عن الرجال ورآء الستور والحجال

أجل انهُ قام منذ بضع سنين في وادي النيل من يطالب هذه الامة بتحرير المرأة من هذا الرقّ واطلاق سراحها وتخويلها من العلم وحرية الظهور والتصرف ما يجدر بمقام المخلوقة المقول عنها « ان التي تهزُّ السرير بيمينها تهزُّ العالم بيسارها » غير ان السواد الاعظم من هذه الامة وفي مقدمتهِ قادة الدين واساطين الفقه رمى صاحب هذا الاقتراح[1] بكل

مقصورة على الشغف فانها لا تلبث ان تكون زوجةً وامًّا ومدبرة أسرةٍ ورئيسة بيتٍ . ولا زوجة نافعة مفيدة الا حيث يكون علم ولا امّ مربية رشيدة الا حيث يكون أدَب ولا ربّة بيتٍ انيق بهيج يجمع اسباب الاتقان والنظافة والراحة والسرور الا حيث يكون اختبارٌ وعرفان . وكيف تكون المرأة معاشرة مسلية ومؤانسة معزّية اذا خلت من الحس المعنويّ وتجرّدت من الجواذب الادبية التي ترافق العمر وتجعل سطوة المرأة في بيتها وحرمة الناس لها وتهالكهم على مزاورتها ومجانستها راسخة ابدَ الدهر

(١) هو قاسم بك امين من افاضل ناشئة المصريين الجديدة المتضلعين بالعلوم العصرية والقوانين

موبقة وضرب بكتابيهِ « المرأة الجديدة » و« تحرير المرأة » عُرض الحائط . وقد قام المعارضون يسلقونهُ بألسنة مسمومة حاسبين انهُ اتى بدعةً في الدين توجب عليه الحدّ والرجم . وهكذا انطفأت هذه الشعلة في بدء شبوبها فجاءت النتيجة مصداقاً لما نظمهُ احد الشعرآء المصريين المجيدين مخاطباً صاحب الكتاب وهو ممن يصوّبون رفع الحجاب ويظاهرونهُ عليهِ : قال

« أقاسمُ » ان القوم ماتت قلوبهم　　ولم يفقهوا في « السفْر » ما انت كاتبهْ
الى اليوم لم يُرفع حجاب ضلالهم　　فمن ذا تناديهِ ومَن ذا تعاتبهْ
فلو ان شخصاً قام يدعو رجالهم　　لوضع نقابٍ لاستقامت رغائبهْ
ولو خطرت في مصر حوّآء أمنّا　　يلوح محيّاها لنا ونراقبهْ
وفي يدها العذرآء يسفر وجهها　　تصافح منا من ترى وتخاطبهْ
وخلفهما موسى وعيسى واحمدٌ　　وجيشٌ من الاملاك ماجت مواكبهْ
وقالوا لنا « رفع الحجاب » محلّلٌ　　لقلنا نعمْ حقّاً ولكن نجانبهْ[1]

ولا يوجد الآن من يرى هذا الرأي من مجموع افراد هذه الامة سوى نفرٍ من ناشئة المصريين الذين ربوا في مدارس اوروبا وتمرّسوا بعادات اهلها ومشاربهم وتضلعوا من العلوم الطبيعية بيدان هؤلآء المتنوّرين بنور العصر لا يعدون بالنسبة الى سائر الامة الا نزراً من وفر وقطرةً من بحر والشذوذ لا حكم لهُ على كل حال

ومن العجب العجاب انهُ قد اتى على وجود الانسان في هذه الكرة بضعةُ الوفٍ من السنين — على رأي اهل الدين — او بضع عشرات

(١) حافظ ابرهيم

الالوف — بحسب استقرآء الجيولوجيين والارخيولوجيين واجماع علمآء الطبيعة — ومع هذا نجدهُ حتى اليوم عاجزاً عن حلّ مسألةٍ كهذه يتوقف على جلآئها والجزم بها سعادة العالم اجمع وهنآء الف وستمائة مليون[1] من البشر تطويهم الارض ثم تأتي بمن يخلفهم فيها ثلاث مرّات كلما مرَّ عليها قرنٌ واحدٌ فقط

ان هذا الموضوع الخطير قد تنبهت لهُ خواطر دهاقين المعرفة وقادة العقول منذ ثورة الفرنسويين الكبرى التي قلبت في اواخر القرن الثامن عشر العالم المتمدّن ظهراً لبطنٍ وغيّرت احوالهُ المعاشية وعوائدهُ الأُلفية وافكارهُ الدينية والسياسية اعظم تغيير . فهبُّوا من سباتهم العميق شاحذين اقلامهم باسطين السنتهم وتناولوا اطراف هـذا المبحث مناقشين ومجادلين سالبين موجبين يصدعون في ذروات المنابر وينشرون على صفحات الجرائد ويثبتون في بطون الاسفار ما تخيلوا انهُ الحقيقة او شبهها فالقوا آلافاً من الخطب وألّفوا من الرسائل الضافية والكتب الضخمة ما لو جمع لتكوّن منهُ جبل عظيم . ولكنهم ويا للاسف قد اشبهوا بمأتاهم هذا حجر الرحى فهم منتهون اليوم بدورتهم حيث هم مبتدئون

---

(١) يقول الجغرافيون ان مجموع البشر في القـارّات الخمس وما يلتحق بها من الجزُر يبلغ في عهدنا هذا نحواً من الف وستمائة مليون ويقول علمآء الاحصآء ان معدّل عمر الانسان على الارض كافة لا يتجاوز ثلاثاً وثلاثين سنة وعلى هـذا يكون عدد البشر الذين يقطعون برزخ الحياة مجتازين الى الابدية نحو اربعة آلاف وثمانمائة مليون كل مئة سنة

هذا ولما كان قد قضى نكد الطالع على الشرق في هذه العصور ان يكون عبداً للغرب في مجمل احوالهِ مقلداً لهُ مقتدياً بهِ في جلّ اعمالهِ نهض في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر رجالٌ في سورية ممن مهروا في صناعة الانشآء ولقفوا عن معاصري الغرب بعض منازعهم وعلومهم مقتفين آثار كتبتهم في ورود هذا المشرع الكثير الزحام فتباروا وتساجلوا وتناظروا وتناضلوا ما شآءوا فمنهم من عرج بالمرأة الى مراتب الملائكة ومنهم من هبط بها الى اسفل سافلين حتى حسبها حلقةً متوسطةً بين الرجل وسائر الحيوان وفي تلاوة خطاب الفاضل الدكتور شبلي افندي شميل المثبت في مجلة المقتطف وما ورد عليهِ من ردود بنات حوآء وانصارهنّ من بني آدم . ومراجعة ما كان يسطرهُ وديع افندي الخوري البيروتي على صفحات الجنان وغيرها . وتصفُّح ما تثبتهُ مجلة الجامعة من معربات اقوال تولستوي فيلسوف الروس الجديد و جول سيمون قهرمان الفرنسويين الشهير ما يغني عن مزيد بيانٍ . ولكن ما النتيجة يا ترى ؟

ان رجال البسيطة اليوم لا يزالون كما كانوا من قبل يجرون فيما يختصُّ بالمرأة على طرفَي نقيض فريقٌ يرفعها الى الاوج وفريقٌ يهبط بها الى الحضيض اي انهُ بعد كل هذه الجعجعة وقد مرّ عليها مئة وستة عشر عاماً (من ١٧٨٩ الى ١٩٠٥) لم يقع الاجماع على حقيقةٍ راهنةٍ يجدر ان يبنى عليها دستورٌ عام واجب الاتباع من كلّ امةٍ وفي جميع الاصقاع

ان في ذلك لعمر الله ما يدعو الى الحيرة والذهول كأن المسألة التي يحاولون استخراجها كنزٌ مطلسمٌ عصيّ الأغلاق والطريق اليهِ اظلم من ليالي

المحاق فلا بدع اذا ضلّ فيها السارون ونكص عنها دُهاة الناس وهم سادرون على ان هذا لا يمنع طفيلياً مثلي عن طرق هذا الباب اسوةً بالعدد العديد من زملآئي الافاضل الذين اضاعوا اوقاتهم عبثاً في استجلآء سرّ المسألة الخفي فان التمثُّل بالكرام فلاح . وما انا من يقول باليأس من الفوز في اي مقصدٍ ومنزع ما دام العقل طوع الارادة . والثبات خادم الاثنين . والحزم رفيق الثلاثة . والعلم رائد الجميع . فان قطع الرجآء شأن الوضيع الخَمُول . وشعار العاجز الكسل والجهول . وناموس الارتقآء لا يبرح ملازماً هذا الكيان الانساني مبقياً لهُ بالانتخاب الطبيعي الأنسبَ فالأنسبَ حسًّا ومعنى حتى يرتقي بهِ في مجموع احوالهِ الى اسمى مراقي الكمال وينزلهُ في حظيرة المعرفة القدسية حيث الراحة والهنآء والنعيم والامن والدعة والسلام

وعلى هـذا المبدأ اقدمت على خوض عباب هذا المبحث العويص فانشأت هذا الكتاب بعد الدراسة والاختبار متعمّداً فيهِ اثنآء التعليل وايراد الدليل ايداعهُ ما في محفوظي وما انتهت اليهِ مطالعاتي من الاوابد والشوارد المتعلقة بحياة المرأة التاريخية مما لا يتهيأ الوصول اليهِ دون تلاواتٍ بكدّ ومراجعاتٍ بجدّ حتى اذا لم اصب الهدف فيما ارمي اليهِ من الموضوع لا يعدم كتابي — على الأقلّ — مزيّةً أخرى تجمع بين الفائدة والفكاهة فتبعث أولي الذوق على الرغبـة فيهِ والتهافت عليهِ . وما الهداية الا من عند الله يؤتيها من عبادهِ من يشآء

ثمّ لا انكر اني بعد إطالة التروّي والامعان ومراوحة التأمل وقتاً طويلاً لم ارَ خيراً من ان اجعل قاعدة بحثي فيما اوردت من الفصول « ان

المرأة مساوية للرجل ولكنها غير الرجل » بمعنى ان مماثلتها للرجل من جميع الوجوه – ولا سيما فيما خُصّ بهِ وخُلِق لهُ من الاعمال — مفسدٌ لطبيعتها مغايرٌ لنظام فطرتها . موجبٌ لزوال بهجة انوثتها . منتجٌ — ولو بعد امدٍ مديد — لانقراض النوع الانسانيّ . ولذلك لا بدّ من المساواة في المنزلة مع بقآء الفارق فيما يجب بقآؤهُ وما هو بقليل

وهيَ قاعدةٌ وان لم اكن السابق الى القول بها — على قربها من الصواب ومماسّتها للحقيقة — الاان القائل بها قبلي لم يحلل اشكالها . ويفصّل اجمالها . ويعطها حقها من الجلآء والبيان . بحيث تشربها الافهام وتحيط بها الاذهان . ويتوفّر لها من معدّات الاقناع . ما يقع عليهِ الاجماع . وهذا ما وطّنت النفس عليهِ وحثثت الهمة اليهِ فيما اذكرُ وان لجأت احياناً الى التكرار ولكن مع تنوُّع الاساليب واختلاف المقاصد في الرواية ذاهباً في عبارتي بين الخطابة والترسُّل كلّ مذهب حسبما دعاني المقام واوحت اليّ السليقة . فان وُفّقت الى ما أريد بشرت قومي خاصّةً وسائر بني الانسان بطالعٍ سعيد يسفرُ عن فوزٍ اكيد فيهِ الرباح والنجاح والاّ فما على باذلٍ وسعهُ وان اخفق من جنُاح　　(ستأتي البقية)

الحرب الروسية اليابانية

من نظم حضرة الشاعر العصري نقولا افندي رزق الله

أجسوماً خلقتهم ام حديدا　　وشياطين في الوغى ام جنودا
وعذاباً يلقَون في ساحة الحر　　بِ وموتاً ام غبطةً وخلودا